"صورة الصين السياسية في ثلاثية "حنا مينه "
"حدث في بيتاخو ، عروس الموجة السوداء ، المغامرة الأخيرة"

دكتورة/وجدان محمداه
دكتورة في اللغة العربية - اختصاص أدب مقارن
عضو هيئة تدريسية في جامعة الشام الخاصة
w.m.foit@aspu.edu.sy

ملخص البحث:

يدرس هذا البحث صورة الآخر الصيني في ثلاثية الأديب السوري حنا مينه "حدث في بيتاخو" (١٩٩٥)، و"عروس الموجة السوداء" (١٩٩٦)، و"المغامرة الأخيرة"(١٩٩٧)، منطلقا من معرفة سبل الكاتب إلى مرجعيات الآخر الثقافية والاجتماعية.

وقد مضى البحث إلى غاياته في ثلاثة محاور، ففي المحور الأول تناول البحث التعريف بالروائي حنا مينه: نشأته وحياته وأعماله الروائية، مكتشفا على مدارجها أشكال الثقافة العالمية غير العربية التي وظفها في أدبه.

ثم تناول التعريف بثلاثية الصين، التي تشكل ذات الكاتب الإبداعية في المجتمع الصيني.

وفي المحور الثاني تناول البحث مقارنة هذه الملحمة الروائية لحنا مينه مع ما يوازيها من اعمال أدبية عالمية كتبت عن الصين لكتاب عالميين ونالوا جوائز عالمية وفي مقدمتها جائزة نوبل، ليتوصل إلى الخصوصية الفنية التي اتسمت بها ثلاثية "حدث في بيتاخو" وأبرز سماتها في تصويرها للشخصيات الأجنبية (السياسية والدينية والاجتماعية والأسطورية) مشيرة إلى أوجه الالتقاء والاختلاف بينه وبين معاصريه من الكتاب الأجانب.

إن الدراسة الإجرائية التطبيقية للصورة مفهوماً ومصطلحاً، قمينة في إثراء البحث في الرواية العربية الحديثة، وعلاقاتها المتنوعة بالثقافة العالمية.

(*)دكتورة في اللغة العربية - اختصاص أدب مقارن - عضو هيئة تدريسية في جامعة الشام الخاصةw.m.foit@aspu.edu.sy

وأما في المحور الثالث: فقد رصد البحث بدقة وتكثيف تصوير الثلاثية قضايا المجتمع الصيني ومشكلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مرحلة زمنية مهمة في بداية الستينيات، والثورة الثقافية في قمة الاضطراب والخلاف مع موسكو.

يهدف البحث بمحاوره الثلاثة إلى توصيف ألوان تلك الصورة التي رسمتها ثلاثية "حدث في بيتاخو" للصين وتحليل دلالاتها الأدبية والثقافية، موظفاً مناهج الأدب المقارن الذي جعل علم الصورة Imagology ميداناً أساسياً من ميادينه منذ منتصف القرن الفائت، متناولاً الدراسات الأدبية والنقدية التي قدمت على صعيد دراسة شخصية الأديب وأعماله الروائية.

China's Political Image in "Hanna Minh" Trilogy

Happened in Betajo, the bride of the Black Wave, the last adventure

Dr. Wejdan Mohamadah

Abstract

This research studies the image of the Chinese other in the trilogy of the Syrian writer Hanna Minh "Hadith in Betajo" (١٩٩٥), "The Bride of the Black Wave" (١٩٩٦), and "The Last Adventure" (١٩٩٧), starting from knowing the writer's ways to the other's cultural and social references.The research proceeded to its goals in three axes. In the first axis, the research dealt with introducing the novelist "Hanna Minh": his origins, life and fictional works, discovering on its runways the forms of global non-Arab culture that he employed in his literature.He then discussed the trilogy of China, which is the same creative writer in Chinese society.In the second axis, the research dealt with comparing this narrative epic of "Hanna Minh" with the equivalent of international literary works, I wrote about China, for international writers, and they won international prizes, foremost of which is the Nobel Prize, to reach the artistic specificity that characterized the trilogy "It happened in Betajo" He highlighted her features in her depiction of foreign personalities (political, religious, social, and legendary), pointing to the convergence and difference between his contemporaries and foreign writers. The procedural study - the application of the image: a concept and a term, lame in enriching research in the modern Arab novel, and its various relations with world culture.As for the third axis: the research carefully monitored and intensified the triple depiction of the issues of Chinese society and its political, economic and social problems in an important time stage in the early sixties, and the cultural revolution in turmoil and disagreement with Moscow.

The research aims with its three axes to characterize the colors of that picture drawn by the trilogy "happened in Betajo" for China and to analyze its literary and cultural connotations, employing a comparative literature approach that has made "image science" an essential field of its field since the middle of the last century, dealing with literary and critical studies presented on The level of study of the writer's personality and his fictional works.

صورة الصين السياسية في ثلاثية حنا مينه
" حدث في بيتاخو ، عروس الموجة السوداء ، المغامرة الأخيرة "

مقدمة :

تنوعت ألوان صورة الآخر في أدب حنا مينه الروائي الذي عرف في حياته جماعات بشرية متنوعة، منذ نشأته في النصف الأول في القرن العشرين، أيام الانتداب الفرنسي في سورية إلى تنقله في منافيه (١٩٥٩ – ١٩٦٧) الصين والمجر وبلغاريا وغيرها.

يحمل أدبه تعابيراً عن اللقاء الحضاري بين المثقف العربي والمجتمعات الأخرى، فحملت روايته "الربيع والخريف "(١٩٨٤) – على سبيل المثال – صورة لقائه المجتمع المجري، أما تصويره للقائه المجتمع الصيني فقد تركز في روايته الثلاثية: " حدث في بيتاخو، عروس الموجة السوداء، المغامرة الأخيرة ". وقد اتسم هذا اللقاء الحضاري، بسمة ثنائية (تصادمية وتصالحية)، فبطل الرواية الثلاثية زبيد الشجري يوجه انتقادات لفكر القائد الصيني "ماوتسي تونغ " الذي أسس بيروقراطية من نوع عجيب في الصين ، لكنه في الوقت نفسه يجد مسوغا للتزمت والتشدد الصيني والانغلاق والجمود العقائدي في الصين ، وهو المحافظة على الهوية القومية.

إن البحث إذ يسعى إلى توظيف الأدوات المعرفية للأدب المقارن ومناهجه وميادينه في فهم الإبداع الأدبي العربي فهماً أمثل، ينطلق إلى غايته متابعاً سبل الأديب حنا مينه إلى الثقافة العالمية – التي كان من أبزها السفر الذي دام ثماني سنوات متنقلاً في الصين وأوروبا كلها – والتوصيف الفني لعناصر الثقافة العالمية، وتأثير العناصر الثقافية للهوية القومية.

اهتم البحث بالسيرة الذاتية للأديب الروائي حنا مينه فهذه السيرة أنموذجاً مناسباً لانفتاح الأدب العربي الحديث على ثقافة الأخر. كما اهتم البحث بالوقوف على التجلي الأدبي لصورة مجتمع الأخر وقضاياه ومشكلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ليتوصل إلى الخصوصية الفنية، في معالجتها في ضوء موازناتها لما يوازيها لدى الكتاب الروائيين العالميين، ولاسيما الكاتبة الأمريكية " بير سيد نستريكرباك" (١٨٨٢ – ١٩٧٣) Pearl.S.buk في رواية "الأرض الطيبة ــ

The Good Land"، والكاتب الفرنسي " أندريه مالرو" (١٩٠١ – ١٩٧٦) Andre Malraux في رواية " الوضع البشري ــ La Condition Humaine " .

١ - ثلاثية حنا مينه وسبله إلى مرجعيات الأخر الثقافية والاجتماعية:

يحمل أدب حنا مينه سمات سيرته الذاتية التي أثرت في رواياته موضوعاً ورؤية، تأثيراً عميقاً مما يجعل البحث العلمي في تلك الروايات محكوماً بالعودة إلى عناصر تلك السيرة، وتوظيف مكوناتها في محاورة المنجز الأدبي محاورة مثلى.

أ- التعريف بالأديب حنا مينه:

ولد حنا مينه في سنة (١٩٢٤)، بمدينة اللاذقية السورية المطلة على شرق البحر الأبيض المتوسط ، لأب فقير يعمل حمالاً في ميناء اللاذقية وبائعاً جوالاً، وجدٍ بحار، انتقل مع أسرته الفقيرة إلى قرى لواء إسكندرونة قبل ان تنتزعه تركيا حيث قضت الأسرة ثلاث سنوات من الحياة المعدمة البائسة[١] ، نهل الكاتب من وقائع نشأته الأولى تلك وسيرته الذاتية، المادة الأساسية لروايته الثلاثية " بقايا صور" (١٩٧٥)، "المستنقع" (١٩٧٧)، و"القطاف" (١٩٧٨). تنقلت الأسرة بين قرى اللواء حتى استقرت في ميناء إسكندرونة، الواقع أقصى الشمال الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وفي مدارس إسكندرونة[٢] تلقى تعليماً ابتدائياً فرنسياً، وفي سن الثانية عشرة من عمره عمل مع أقرانه من الصبية الفقراء في دفع العربات الحديدية المحملة بالبضائع أمام البواخر الراسية على البحر إلى مستودعات الميناء، فانتقل من عالم الضعفاء إلى عالم البحرورجاله الأقوياء، وتقلب في مهن وأعمال شتى[٣]، إلى أن استولت تركيا على لواء إسكندرونة عام (١٩٣٩) فهاجر من السويدية إلى مدينة اللاذقية الساحلية مسقط رأسه، وفي اللاذقية فتح صالوناً للحلاقة، وفي اللاذقية أيضاً عرف السجن السياسي لأول مرة فقد قبض عليه لاشتراكه في المظاهرات المطالبة بالاستقلال في أعقاب الحرب العالمية الثانية . وبعد خروجه من السجن (١٩٤٦) أغلق صالون الحلاقة، وتفرغ للعمل الصحفي والأدبي[٤]، مثرياً المكتبة العربية بأعمال قصصية وروائية، يشكل البحر وعوالمه مساحة قصصية متميزة من مساحاتها.

---

[١] عطية، أحمد محمد (١٩٨١) أدب البحر، ص ١٤٥.

[٢] مينه، حنا (١٩٨٢) هواجس في التجربة الروائية ص٣٤.

[٣] مينه، حنا (٢٠٠٠)، القصة والدلالة الفكرية- الغلاف

[٤] مينه، حنا (١٩٩٠) الأبنوسة البيضاء، ط ٥، قصة "رسالة من أمي" ص١٢٠

ب- التعريف بثلاثية الصين في أدبه :

تتألف هذه الثلاثية من روايات ثلاث، تتكامل موضوعاً ورؤية، يقدم حنا مينه فيها عالماً فريداً وغريباً، إنه عالم الصين الذي يشجع القارئ على البحث والسؤال، مشدوداً إلى الضوء الروائي المسلط على حركة المجتمع الصيني المائجة والمضطربة بين (أيلول ١٩٦٠ و آب ١٩٦٢) والثورة الثقافية في قمة الاضطراب والنكوص والحماس والإقدام مع الخلاف الذي استحكم بين موسكو وبكين[١] .

ثلاثية حنا مينه الروائية: " حدث في بيتاخو ، عروس الموجة السوداء ، المغامرة الأخيرة " صادرة عن دار الآداب ببيروت في ألف صفحة موزعة في (٣٤) فصلاً و (٣٣) يومية، تشرح كل شيء عن هذا البلد ثقافياً واجتماعياً وجغرافياً وتاريخياً، وكأنها تحاول أن توصل تجارب الكاتب الحياتية "بتفاصيلها وغناها إلى قرائه حباً واحتراماً"[٢].

يجيء السرد على لسان الكاتب، أما اليوميات فهي مذكرات زبيد الشجري بطل الرواية العربي الذاهب إلى الصين. فالرواية تسير على خطين متوازيين يكمل أحدهما الأخر، الخط الأول : سردي ، يقص حياة الشخصيات، والخط الثاني: هو خط اليوميات التي سجلها بطل الرواية نفسه[٣]. ويتسأل الدارس ما المسوغ الفني لهذا النسق في الرواية ، وهو بناؤها في خطين متوازيين ما دامت اليوميات تدور في المكان نفسه الذي تدور فيه أحداث الرواية، وفي ظل الظروف التاريخية ذاتها[٤] .

تهتم الباحثة " فريال كامل سماحة " بهذا المجال فترى " أن ما يقرره السرد أو يلخصه بضمير الغائب ، تكرره اليومية بضمير متكلم"[٥]. بهذا الأسلوب الفني قدم لنا الكاتب صورة عن المجتمع الصيني وقضاياه ومشكلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مرحلة بنائها الاشتراكي في بداية الستينيات .

إن دراسة تلك الصورة تقدم فائدة علمية لدراسة أدب حنا مينه وعلاقته بعصره، ناهيك عن الأهمية التاريخية والاجتماعية لهذا النوع من الدراسات ومثل هذه

---

[١] سويدان، أحمد (٢٠٠٠) ملحمة الصين للروائي حنا مينه، صحيفة الأسبوع الأدبي، العدد (٧٣٠) ١٠/١٤، ص ٧.

[٢] حمارنة، سمر (٢٠٠١) هكذا قرأت حنا مينه، ص٣١٤.

٧ العلبي، د. أحمد (١٩٩٨) ثنائية العيون، مجلة الموقف الأدبي، العدد (٣٥١)، ت: تموز، ص٣٦.

[٤] سماحة، فريال كامل (١٩٩٩) رسم الشخصية في روايات حنا مينه، ص٢١٥.

[٥] المصدر السابق نفسه ص٢١٥.

الصور تساعد على فهم الشعوب بعضها بعضاً، كما تساعد على إدراك كل منها الأخر، إدراكا يقوم على أسس صحيحة، مما يؤدي إلى حسن التفاهم بين الشعوب، وتأثير صلتها بعضها ببعض [١].

يقدم الاطلاع على تاريخ الأديب الذي رحل على الصين التي صورها روائيا خدمة مفيدة لتفهم الصورة التي رسمها، وبيان صدقها ، ومدى صلتها بالواقع الذي استقى الكاتب منه معلوماته، بعد ان رأى البلد بعينه. فكثير من الكتاب والأدباء يكتبون عن بلد لم يروه، ويصورون مختلف الأماكن في ذلك البلد، مما يجعل السؤال عن علاقة التجربة الحياتية بالمنجز الأدبي مفيدا في هذا المجال.

ج- ذات الكاتب الإبداعية في المجتمع الصيني :

تعرض الأديب حنا مينه للملاحقة السياسية في سورية أواخر الخمسينيات، فغادرها يبحث عن ملاذ، وفي رحلة مشردة عاش في الصين منذ أوائل ١٩٦٠، مدة خمس سنوات، إلا أنه لم يكتب عن الصين إلا بعد ثلاثين عاما، ويسترجع تجربته، في ثلاثيته موضوع هذا البحث التي تعد رواية ذكريات، تقدم تصوراً أدبياً يفيد الاطلاع على هذا البلد بعد انتصار الثورة وفي مرحلة من الاضطراب والخلاف مع موسكو.

لقد مضى الكاتب في أجواء الرواية مع البطل زبيد ممثلاً ذاته إبداعيا في مصيف بيتاخو الصيني المخصص لراحة الخبراء الأجانب الذين جاؤوا لمساعدة الصين في بنائها الاشتراكي، والذي يقع على المحيط الهادئ ، مصوراً الحماس لبناء الصين ،والتخبط والتنفيذ الحرفي للأوامر وتأليه عبادة الفرد الذي رسخ أسس بيروقراطية من نوع عجيب ، قادة إلى المزيد من الخراب ، متمثلة بطرد الخبرة السوفياتية بسبب التعنت الخروشوفي والعصبة الماوية ، لقد سحب الاتحاد السوفياتي خبراءه الذين فاق عددهم العشرة آلاف خبير، وحذت الأحزاب الاشتراكية حذو الاتحاد السوفيتي في سحب خبرائها[٢]. إنه يشير إلى الموقف الروسي وأثره في الخبراء الأجانب القادمين إلى الصين من العالم الثالث، فقط تلقوا مزيداً من الضغط والبؤس وفي مقمة أولئك العرب والأتراك والإيرانيون والأرمن. والرواية تصور الخلخلة النفسية لهؤلاء الخبراء الأجانب، اما الخبراء الأوروبيون فإنهم استمروا متماسكين

[١] هلال، د. محمد غنيمى (١٩٨٧) الأدب المقارن، ط٩، ص ١٠١

[٢] مينه، حنا (١٩٩٥) رواية "حدث في بيتاخو"، ص١٩٠

لكون احزابهم أكثر استقلالية أكثر عمقاً. ولعله من المفيد الاطلاع على ما ذهب إليه " مراد كاسوحه " في تحليله لصورة الخبراء والموقف منهم ، فقد جاء في كتابه أن البطل حنا مينه وهو كرم في رواية " الربيع والخريف " يعاني من قصور في تقييم لخبراء الأجانب في المجر بصورة موضوعية أما زبيد الذي يجد نفسه ملاحقاً من بيروقراطية البلدين السوري والصيني فكشف أنا اللعنة تحاصره أينما ذهب وكيفما فعل ، فجريمته أنه أحب الاشتراكية وناضل من أجلها ، فكانت الرغبة ملحاحة في بلاده للتخلص منه بإرساله إلى الوجهة التي يريدها ، بكين ماوتسي تونغ فتحت ذراعيها لاستقبال المخلصين الراغبين في المساهمة في بناء صرح الصين الشعبية المنتفضة [١]. وهكذا يمضي زبيد في الرواية مكتشفا أنه ليس مضارداً في وطنه فحسب؛ بل وفي بلد الاشتراكية ذاتها فهو يرى أنه يختلف مع الذين يعيش معهم في الفكر والمبدأ والعقيدة والنضال، وهو الذي ظن أنه يشبههم ويتماثل معهم في إيمانهم بقضاياهم. لذا فإن جروح زبيد عميقة ولن تندمل ولا شفاء منها ، ولقد استعاض الكاتب عن جروح زبيد الداخلية، بجروح سطحية خارجية، يتهاون " زبيد " في مداواتها لأنه لا يراها خطيرة ، وإنما الخطير في هذا العالم ألا يحترم الإنسان والرأي الآخر .

لذا فإن زبيداً يحلم بغد تقام فيه العدالة الاجتماعية التي تكفل حرية الإنسان، ويرى فيه العلاج الشافي لعذابات الروح الممزقة بين مثل تبتغى وواقع يثقل الصدر حتى الاختناق. وبذلك نرى أن جروح زبيد السطحية التي اتخذت محورا في القصة، استخدمت على صعيد الرمز لتكون وسيلة لتقديم صورة الجمود العقائدي في التطبيق الاشتراكي في الصين.

لقد اختار حنا مينه بلد العجائب مكانا لتحريك أبطال روايته . " إنها الصين واحدة من أكثر بقاع الأرض إثارة للفضول والدهشة" [٢] ، وهي تلبي من الناحيتين الإنتاجية والاستقبالية الحاجة إلى الغرائبية، والحاجة إلى تأكيد الهوية الخاصة . مثله في ذلك كمثل الكتاب الأوروبيين الذين يكتبون عن الشرق، فـ للغرائبية قيمة ترفيهية كبيرة وذلك لما تنطوي عليه من إثارة ولا سيما عندما تترافق مع مغامرات في بلاد

[١] كاسوحة، مراد (١٩٩١) الرؤية الأيديولوجية والمورث الديني في روايات حنا مينه، ص١١٧

[٢] عبده، عبود (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص٣٧٥.

بعيدة [١]. وهذا ما سنراه في الجزء الثاني من الثلاثية في مغامرة بطل الرواية العربي مع تشين لاو مديرة العلاقات العامة والمسؤولة عن الخبراء الأجانب في الدروجبا[٢] في يوم العطلة الأسبوعي الذي أمضياه في نزهة في الجبل العطري .

٢- مقارنة ملحمة الصين لحنا مينه مع ما يوازيها من الأعمال الأدبية العالمية :

لقد قدم حنا مينه نموذجاً متكامل الأبعاد للمجتمع الصيني وقضاياه ومشكلاته في مطلع الستينيات، عبر بطله العربي الذاهب إلى الصين زبيد الشجري والذي رأى الصين عبر منظاره وأفقه هو لا عبر منظار الصينين أنفسهم ، وهذه مسألة معرفية مشروطة، بهوية الأديب الذي يكتب عن مجتمع آخر، لذلك نجد تنوعاً في رؤية الأدباء للصين، وقد عبر كيو بطل رواية "الوضع البشري" للكاتب الفرنسي أندريه مالرو (١٩٠١-١٩٧٦) عن هذه الحالة المرتبطة بصورة الآخر وهوية الكاتب قائلاً: " إننا نسمع صوتنا من حنجرتنا ، وصوت الآخرين من أذنيننا وعلى مستوى آخر: نحس بالآخرين بطرائق لا نحس بأنفسنا من خلالها"[٣].

وهذا التنوع المشار إليه جعل المبشرة الأمريكية بيرل سيد نستريكرباك (١٩٨٢-١٩٧٣) في رواية "الأرض الطيبة"[٤] تصور الصين الصابرة والفقيرة من خلال فلاحها المقهور "وانغ لانغ"[٥] قبيل الحرب العالمية الأولى .

وجعل الكاتب الفرنسي مارلو يصور الصين من زاوية رؤيته في روايته "الوضع البشري"[٦] (حسب الترجمة عن الأصل الفرنسي عام ١٩٢٧)، من خلال البطل كيو الذي يحيي بدوره الروائي سيرة الشخصية السياسية الصينية المعروفة "شو إن – لاي " في الإعداد لانتفاضة شنغهاي العمالية قبيل الحرب العالمية الثانية، مصوراً نضال الشعب الصيني من أجل وطن معافى من القهر والغزو والطغيان"[٧].

---

[١] عبده، عبود (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص٣٧٥.

[٢] الدروجبا: مدينة صينية صغيرة، أُعدَّت مكاناً لإقامة الخبراء الأجانب في الصين، فيها لغات متعددة وجنسيات مختلفة، و(دروجبا) كلمة روسية تعني: الصداقة.

[٣] غايار، بول، (١٩٩٤) مالرو، تر: زياد العودة، ص ١١٥.

[٤] الصباغ، لىلى (١٩٩٦) الأدب النسائي المعاصر، ص١٥٧.

[٥] باك، بيرل (ب ت) رواية "الأرض الطيبة"، ص ٥.

[٦] مالرلو، أندريه (١٩٦٣) رواية "الوضع البشري"، تر: نبيه صقر.

[٧] غايار، بول (١٩٩٤) مالرو، ص ١١٥، مرجع سابق

أما حنا مينه فقد قدم صورة عن الصين برؤية عربي ذهب إلى الصين – كما أشرنا سابقاً- ورأى الصين بعين عربية لا صينية، وهذا من طبيعة الأشياء، فالذات ترى الآخر برؤية مغايرة تماماً لما ترى به نفسها، وهذا مرتبط بموقع الأديب من المجتمع الذي يصوره، فقد تبين أن صورة الشرق في آثار الأدباء الأوروبيين تتسم بأنها رؤية بعين أوروبية، وليس بعين شرقية، لذلك الشرقي لا يستطيع بدوره إلا أن يرى الغرب بأعين شرقية. ومما تجدر الإشارة إليه، أن صورة الآخر في آثار أديب معين قد تعكس حاجة ذلك الأديب إلى الهروب من مجتمعه الذي ضاق ذرعاً به وبمشكلاته، أي أنها تلبي حاجة تعويضية[١] . وقد هرب زبيد من مجتمع يطارد الاشتراكيين إلى مجتمع الاشتراكية في الصين، إلا أنه رأى أنه يختلف عن اشتراكيي الصين في المبادئ والعقيدة، ويوضح الخطاب السردي ذلك بقوله في مذكراته: "خرجت من وطني لإيماني بالعدالة الاجتماعية، وها أنا في بلد هذه العدالة مهدد بالطرد، فإلى أين أذهب؟ "[٢]، لذا فإن رواية "حدث في بيتاخو" تمثل حال الإيديولوجيا وانكساراتها وامتدادها إلى العالم العربي.

٣- مجتمع الآخر (قضاياه ومشكلاته):

من القضايا التي يسلط حنا مينه عليها الضوء في هذه الثلاثية: القضايا السياسية المتداخلة والملتحمة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية في الصين، وهي تتمثل بادئ ذي بدء في منع المسؤولين الصينيين ، الأجانب المتطوعين لخدمة الثورة الصينية بلطف من الاختلاط الفعلي بالصينيين، فهم يعيشون في ضاحية بكينية مسورة اسمها الدروجبا ومصيف مرفه اسمه بيتاخو والجميع مراقبون من وراء عدسة مكبرة صينية وهي عين ساهرة يعبر السرد عن ذلك بالقول: "الصينيون يضعوننا جميعاً تحت راقبة غير مرئية"[٣]، وهو ما يجعلنا على مسافة شاسعة من العمق الصيني الثقافي والسياسي، و نكتفي بالتعرف على بعض الملامح التوجيهية التي تتمثل في حوار برهان مخلص مع زبيد قائلاً له: " هنا كل شيء مباح إلا ثلاثة أشياء: أن تمتنع عن قراءة أو تدريس فكر الرفيق ماو القائد العظيم للشعب الصيني ، و ألا تعجب بأوبرا بكين و أن

---

[١] عبده، عبود (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص٣٧٥ وما بعدها.

[٢] مينه، حنا (١٩٩٥) رواية "حدث في بيتاخو" ص ١٩٤، مصدر سابق

[٣] المصدر السابق ص ١٩٨

تحاول تذوق الجمال الصيني"[١] ، فمغازلة أي امرأة صينية عقابه السجن ، "وذكر أن سفيراً أجنبياً اتهم بالتحرش بامرأة صينية حكم بالسجن ثلاثة عشرعاماً"[٢] . إن البناء الاشتراكي يدفع بالمسؤولين الصينين لاتخاذ مثل هذه القوانين الصارمة، ذلك البناء أعطى المرأة حقها وأبعدها عن العهر حيث هيأ لها العمل الشريف، ولقد حررت الثورة الصينية مليون عاهرة وجعلتهن نساء عاملات والخطاب السردي في الرواية يوضح ذلك: " أنت في بكين التي كان فيها مليون عاهرة في وقت من الأوقات قبل التحرير والآن انتهى العهر والكل يعمل"[٣]. ولكن زبيداً تساءل في حواره مع صديقه برهان عن مستوى الحياة المتدني للشعب الصيني فرد عليه قائلاً: " اخرج وتجول في الأسواق وراقب الناس سترى الزي الموحد ولكن لن تر عارياً أو جائعاً أو شحاذاً وهذا في ذاته تقدم ملحوظ في فترة زمنية قصيرة منذ التحرير وحتى الآن "[٤]. إننا نرى في هذه الصور انعكاس الظروف السياسية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وقد سلط الكاتب الضوء عليها بشدة وحرص على حشد التفاصيل الكثيرة جرياً وراء تصوير واقع الصين بدقة. ومما لا يخفى على الدارس تركيز حنا مينه على المكان الروائي وهو ذو بنية ثنائية الدروجبا و بيتاخو ، مرتبط ارتباطاً بالحدث ونموه داخل النص فالمكان يقف في خلفية الصورة مؤسساً مع الزمن المحدد تحديداً دقيقاً الحدث الروائي الذي يشكل العمود الفقري الذي تقوم عليه "الحكاية والتي تصنعها الشخصيات"[٥] معتمدة على تقنية التذكر والارتداد والمنولوج مما يقودنا إلى الاستنتاج بأن الإطار المكاني ليس إطاراً موضوعياً عند حنا مينه، بل هو إطار لا يكتسب معناه إلا بدلالته الاجتماعية و السياسية، " لذا فإن المكان بالنسبة إليه يرمز إلى الانتماء بمعانيه المختلفة[٦] .

ومن القضايا السياسية المهمة التي يسلط عليها الضوء في رواية حدث في بيتاخو الخلاف الصيني الروسي والعناد الصيني البالغ الحدة ووقوف بكين ضد

---

[١] المصدر السابق ص٢٠٣

[٢] المصدر السابق ص٢٠٦

[٣] المصدر السابق ص٢٠٨

[٤] المصدر السابق ص٢٠٨

[٥] وادي، طه (١٩٨٩): دراسات في نقد الرواية،ص٣١.

[٦] الباردي، د. محمد (١٩٩٣) حنا مينه روائي الكفاح والفرح، ص١٢٢ وما بعدها

المعسكر الاشتراكي كله، وهذا زبيد يرى أن الخلاف بين الصين والاتحاد السيوفياتي "ذو رقاقة نظرية واهية جداً وتحت هذه الرقاقة يرتسم عناد اكتسب صفة التحدي"[١] .

وكان حنا مينه قد وضح في رواية "الربيع والخريف"[٢] كيف نشأ الخلاف الصيني الروسي حول قضايا عديدة سياسية وفكرية تتصل بطبيعة البناء الاشتراكي في كلا البلدين. وكان قد ميز بين الانتهازيين الذين يعملون في الصين والمرتزقة مثل أجلو الإيطالي الذي كان لا يهمه من الصين إلا جمع الثروة،" ليعود بها إلى وطنه ويشتري بها بيتاً وسيارة [٣]، والشرفاء المناضلين مثل كرم المجاهدي العربي ، وضياء التركي وحسن وفهمي الإيرانيين الذين استمروا في عملهم في الصين بعد خلافها مع المعسكر الاشتراكي حتى انتهت عقود عملهم.

موقف زبيد بطل " حدث في بيتاخو " من الخلاف الصيني الروسي :

يتوضح لنا من خلال السرد بضمير المتكلم موقف زبيد الذي يقول: " بالنسبة إليّ أنا شبه اللاجئ إلى الصين، إقحام نفسي في الخلاف الناشئ بين الاتحاد السوفيتي وبين الصين أمرٌ مرفوض وهذا طبيعي جداً، لقد سحب الاتحاد السوفيتي خبراءه ... وبعد ذلك استقدمت الصين الذين يعملون لديها موالين لها[٤] . وقد انتقد زبيد " العناد الصيني البالغ الحدة ، ووقوف بكين ضد المعسكر الاشتراكي كله "[٥] ، إلّا أنه لم يقاومها لأنه لا يعقل أن يقاومها وهو فرد عامل لديها ، ويقدر صداقة الصين للعرب، ومؤازرتها لهم ، " وهي تقف إلى جانبهم في الكفاح ضد العدو الإسرائيلي"[٦] . غير أنه بسبب انتقاداته التي كان يوجهها للصينين، فقد كان الصينيون يجرون اختبارات له، من فترة لأخرى، يقول زبيد: " كان المسؤول الحزبي في الجامعة يرسل في طلبي، أذهب بلا مبالاة يبتسم في وجهي الابتسامات في مواقف كهذه لا تغرني، لا تستدرجني، أعرفها جيداً. والصينيون الذين أعمل معهم على الأقل لطفاء جداً ، لكن ماذا يعني هذا؟ الفم الذي يبتسم هو بعين الفم الذي يكشر في الهنيهة ذاتها . ههونا تتغلب الأمور

---

[١] مينه، حنا (١٩٩٥) رواية "حدث في بيتاخو" ص ١٩٣

[٢] مينه ، حنا (١٩٩١) رواية "الربيع و الخريف" ط٣ ، ص١١٧ وما بعدها

[٣] المصدر السابق .

[٤] مينه، حنا (١٩٩٥) رواية "حدث في بيتاخو" ص ١٩٠

[٥] المصدر السابق ص١٩١

[٦] المصدر السابق ص٢١٤

الخروف الذي تتعامل معه يتخفى في جلد ذئب، السن الضاحكة تنقلب إلى ناب "[١] . وعندما طلب المسؤول الحزبي في الجامعة من زبيد رأيه في موقف الصين وهل يوافق على موقفها قال له : " لا معها ولا ضدها ؛ بل أنت ضدها ، أعطني مثالاً على ذلك ، رفضك تدريس البيانات الصينية والخطابات السياسية .

فاعلم ماذا في هذه الأقوال المباشرة المكررة المستهلكة، لا شيء سوى انتقادات تقرب من الشتائم وهي خارج المنهاج وليس فيها أي مفردة لغوية جديدة تفيد الطلاب كما ليس فيا أي تدوير للعبارة وتنوع الكتابة أو النطق وتؤهل الدارسين تأهيلا حسناً إنما وهذا كان مضمرا لم أكن مستعدا للمشاركة في معرك القذف بحق الاتحاد السوفيتي صديق العرب ولم آتي إلى الصين من أجل هذا "[٢]. نرى هنا النزعة العقلانية وديموقراطية التفكير في فكر مينه وقد انعكست على أدبه ووهبته سمة حضارية، فهو ليس متحيزا مع الاتحاد السوفيتي ضد الصين، وإن كانت " صداقة الاتحاد السوفيتي عزيزة "[٣]. إلّا أن صداقة ضميره وعزيزة أكثر وأصدق، وهذه مسألة اعتبارية ومبدئية تنبع من وفاء التزم به.

وهذا زبيد يوضح لنا ذلك بقوله: " لن أكون ضد الصين بشكل متسرع وفي المقابل لن أكون معها في شيء، زرت الاتحاد السوفيتي مررا أعرفه أحسن قراءة ممارسته لا يعجبني بعضها وخاصة في المجال الداخلي وها أنا أتعرف إلى الصين وأنتقد بعض ممارساتها ولكنني لن أحمل السلم بالعرض ولن أساق إلى مواقف لا قناعة لي بها "[٤] . ومما يدل على عدم تحيزه إلى الاتحاد السوفيتي تسويغه للتشدد والتزمت الصيني، " هذا القناع الصيني لا يمكن أن يكون حقيقة إنه قناع ظرفي فإذا مر الظرف بان الوجه الطبيعي الصيني"[٥] . ويأخذ في اعتباره أن تكون الأسباب المؤدية إلى هذا القناع ضرورية في الفورة الحماسية التي أعقبت التحرير، كما يرى أن المسيرة الكبرى ما تخللها من تضحيات وحرمان وآلام ربما استدعت كل هذا التشدد كي يستعيد ابن الصين الجديدة الشعبية اعتباره في عين ذاته، وأن يغالي في شعوره الوطني والقومي

---

[١] المصدر السابق ص١٩٣

[٢] المصدر السابق ص١٩٤

[٣] مينه، حنا (١٩٩٦) رواية "عروس الموجة السوداء"، ص ٥٤.

[٤] المصدر السابق ص٥٤.

[٥] مينه، حنا (١٩٩٥) رواية "حدث في بيتاخو"، ص ١٧٧

بعد كل تلك الإهانات المؤذية من قبل الأجانب الكثر الذين احتلوا الصين وأساؤوا بفظاظة إلى هذا الشعور ؟ "[١] . إنه رد الفعل ليس أكثر ومآله إلى زوال والمفاصل القرائية السابقة تشير إلى أن مينه يتقبل الآخر مهما اختلف عنه مكانياً وزمانياً وفكرياً وعقائدياً، وهذه سمة حضارية في فكر مينه، إنه يتعالى على الرؤية الأحادية للأشياء فالتعصب في المجتمع الصيني صفة سلبية ولكن من قلب السلبيات تنبثق الإيجابيات ومن قلب الظلام ينشق الفجر ومن قلب التعصب والانغلاق والجمود ينبثق الحفاظ على الهوية القومية الصينية. وهكذا نرى تعددية الرؤية التي ترى الآخر بشكل موضوعي سليم. ولكن مما يأخذه على الصينين من مآخذ سلبية محاولتهم الغبية في تصوير الصين كبلد خارج التاريخ مما يدفعه إلى التساؤل الآتي: " كيف يروّجون بشكل عفوية أو متعمد أن هذه الصين كجبل من جليد كل ما فيه جامد أو متحجر إلى درجة لا تصدق! هل في تقبله لهذا التحجر يحسنون إلى الصين أم يسيئون ؟! "[٢] ، " الاشتراكية بريئة من هذا الجمود العقائدي"[٣] . إنه يشير إلى الصورة المشوهة في الصين ويدرس أسبابها ويحللها، ويرى أنا أسباب التشويه تكمن في الصينين أنفسهم وانغلاقهم على أنفسهم وتعصبه وتحجرهم ، فكأنما يريد أن يتوجه إلى القارئ ويقول له: إن الحضارة لا تبنى إلا بالانفتاح على الآخر وعدم التزمت والتعصب .

ولكن ما هو صدى رأي حنا مينه عند الصينين أنفسهم وما هي الرؤى التي تحملها؟ إنها بلا شك " رؤى لكاتب واقعي ثوري [٤]، تلك هي بعض المشكلات السياسية المبسطة إلى أقصى حد في الصين، وهي المشكلات التي ترتهن لها شخصيات الرواية بكاملها، ولعل صحة التفاصيل وعظمة الصور أبرز ما يميز هذا الرواية بأجزائها الثلاثة ويجعل منها مؤلف سياسيا في الطراز الأول . ويمكن إلقاء الضوء على بعض الزوايا الأخرى من هذه الثلاثية لنجعل قرائتها مثمرة أكثر، فميزة الروايات العظيمة هي أنها لا تنضب من العطاء وإن كان على نحو أقل بكثير من الحياة بالتأكيد.

---

[١] المصدر السابق

[٢] مينه، حنا (١٩٩٦) رواية "عروس الموجه السوداء" ص ٢٨

[٣] المصدر السابق نفسه، ص٢٤.

[٤] العوابدة، د. رياض (٢٠٠٢) الخصائص الفنية في روايات حنا مينه، ص ٨١

لقد قدمت لنا هذه الرواية عالماً معيناً ، وهو عالم لا يزال غير معهود وهو بعيد عنا مكانيا ، ومع أنه ليس فيه إغراب ولكنه كامل ومعقد ومشوش وتنبثق منه في آن واحد سائر المشكلات التي تعاش قبل أن تطرح ، وتطرح لكي تعاش أفضل .

إن شخصيات هذه الثلاثية – حدث في بيتاخو تؤثر فينا بصدقها باستمرار من خلال استحضار النفسي والسياسي والوجداني لها ، فالعنصر الجوهري فيها هو العنصر الباسكالي أي التأمل النفسي والوجداني حول الشخصيات الروائية ، كما في مسألة جراح زبيد الخارجية التي يتهاون في مداواتها مما أثار فضول الصينين واتهامه بالاستخفاف بالطب الصيني ، وكانت أيضاً سبباً في التقاءه بالطبيبة الروسية لود ميلا المستاءة من الخلاف بين موسكو وبكين الذي أدى إلى ترحيل أبناء بلدها . إننا نحس وندرك في خلفية هذه الصورة صوراً متعددة مثل صورة الطب الصيني الذي يعتمد على الشعوذة والدجل ما يجعل الآخرين لا يثقون به ويعرضون عنه ، وتأتي صورة الطبيبة الروسية مرتبطة بالخلاف بين الصين وروسيا فالطبيبة لودميلا المناوبة في مستوصف الدروجبا لم ترح مع الخبراء السوفيت من الصين ؛ لأن زوجها طبيب صيني كان قد درس في موسكو وكان زبيد قد اقتنع بمداواة جراحه فتردد على مستوصف الدروجبا، وما مبعث قناعته إلا ثقته بالطبيبة لودميلا؛ لأنها روسية وكان يودها بصرف النظر عن جمالها وقد قالت له عندما مد يده مصافحاً لها عند خروجه من عيادتها في المستوصف : " أعزك بمقدار ما تعز أنت وطني ، إنني أشكرك وأتمنى لك الشفاء [1]. إن شخصية زبيد في هذه الرواية شخصية مغامرة ، فهو يحتاج التواصل مع الآخرين ليؤكد ذاته، إلا أن القانون الصيني لا يسمح، فهو يريد ان يكون علاقة صداقة مع سائقه ومترجمه ومديرة العاقات العامة في الدروجبا، إلا أن هؤلاء جميعاً يقومون بتنفيذ تعليمات المسؤولين الصينين ، ويؤدون واجبهم ومهمة العمل فقط ، فيشعر بلا معقولية الوضع المأساوي وانغلاق المجتمع الصيني، إلا أنه مثل أي رجل شجاع قد سلّم نهائيا بخطر الموت الممكن دائماً وبحتميته النهائية ، ولكي تحافظ الحياة على المعنى الذي أراد أن يعطيها إياه فقد أدرك أنه يتعيّن عليه القبول بالمجازفة بها، فما قيمة الحياة التي ما كان ليرتضي أن يموت من أجلها. لقد اختار العمل السياسي اختياراً جدياً متبصراً ، وذلك لكي يحافظ شخصيا على احترامه لذاته ويفرضه على

[1] مينه، حنا (١٩٩٦) رواية "عروس الموجة السوداء"، ص٩٣

الآخرين ، فهو يرى أن الإنسان الذي يتصرف تصرفاً حراً يمكن أن يكون فخوراً بما هو عليه وبما يفعله ، وقد كان الحس البطولي قد أعطاه شيئا هو أشبه ما يكون بالانضباط ، فهو متمسك بواجبه في تصحيح الكتب المترجمة والمجلات التي تصدر باللغة العربية ولا يبدي أي تردد أبدا فيما يخصّ هذه النواحي الأساسية، لأنه يحاول أن يكون بكل كيانه ذلك الإنسان الذي ينشده .

ومن المفيد أن أشير إلى صورة التقنين عند الصينين كما وردت في الرواية:" تظهر تجلياتها لدى الأجيال الشابة منهم باندفاع كبير نحو العمل والتضحية " فهم يبنون دولة تقوم على التضحية والقبول بالتقشف الذي يتجلى بدءا من اللباس الأزرق الموحد إلى الطعام القليل والبسيط جداً ، " يشدون الأحزمة تقشفا "[١]. فالحماسة للمسيرة الكبرى بقيادة ماوتسي تونغ، التي انتهت بثورة التحري ، مازالت سعيراً في الدماء ، غير أن المطاعم الموجودة في الدروجبا والتي يوفرون لها كل المواد الضرورية للأغذية من صينية وأفرنجية ، وهي استثناء ولا تخضع للتقنين الذي تخضع له مطاعم الصينيين ، وهذا ما عرفه زبيد فيما بعد . وروى له صديق : " أن بعض الصينيين عندما اشتدت أزمة الغذاء كانوا يسألون بعضهم البعض عندما يتقابلون هذا السؤال : " شوفان لمة " – هل أكلت أو أكلتم ، والجواب حتما أكلنا ولو لم يأكلوا"[٢] . إنها صورة عن التضحيات التي يقوم بها شعب الصين، " ذلك الشعب لا يريد أن ييأس ولا أن يفشل، والتصميم المدهش لا على امتلاك الحاضر وحده، بل المستقبل معه. الصين الجديدة النجم الذي يسطع بقوة لا مثيل لها ، والتي تستحق ما صممت عليه مهما كانت الصعاب والمنعطفات والثمن الذي تدفعه "[٣]. إن الكاتب يريدنا أن نتعلم من هذه الصين الفريدة في دولتها وثورتها وشعبها الذي يتقبل المستوى المتدني من الحياه لأنه يراه " أفضل من السابق قبل التحرير "[٤]. وتعمل الصينية إلى جانب الصيني بإخلاص واندفاع " وهذا طبيعي بالنسبة لشعب يخرج حديثاً من عبوديته وماضيه بالغ السوء"[٥] .

---

[١] المصدر السابق ص١٦١

[٢] المصدر السابق ص٩٣

[٣] مينه، حنا (١٩٩٥) رواية "حدث في بيتاخو"، ص ٢٠٩-٢١٤

[٤] المصدر السابق ص ١٢٤

[٥] المصدر السابق ص١٣١

ولكي يقدم صورة متكاملة عن الصين يلجأ الكاتب إلى السرد عن " المطبخ الصيني، وغناه وتنوعه وفرادته في العالم، وأشهر طباخي العالم الصينيين، وشهرة بكين بطبق البط "[١]. والشراب الصيني المفضل " الماوتاي"[٢] الذي فيه الكثير من الاعتزاز القومي." والخزف الصيني الغالي الثمن "[٣] الذي لا يقارن بالخزف الياباني. كما يتحدث عن جغرافيا الصين وأنهارها مثل " اليانغتسي " النهر الأصفر، وأوابدها الأثرية مثل سور الصين العظيم من خلال رحلة قام بها الرفاق في الدروجبا في يوم العطلة إلى السور العظيم المكان الذي اقترحته توبو مديرة العلاقات الجديدة في الدروجبا وقد أتت بعد تشين لاو التي نفيت إلى الريف بسبب علاقتها مع زبيد على الرغم من أن تلك العلاقة لم تدخل في إطار الحرمة، وإنما تجاوزت إطار العمل إلى حدود الارتياح والاستلطاف فقط. وهذا ما جعله يسميها عروس الموجة السوداء. وقد حدثت معه عن التضحية التي يقدمها الشباب الصيني فهي على سبيل عروس منذ أشهر قليلة إلا أنها تعيش في الدروجبا وزوجها يعيش في سيتشوان وهذا البعد يهون أمام الهدف الثوري وبناء الصين الجديدة فكل منهما متزوج الثورة كما كانوا آباؤهم من قبلهم قد تزوجوا المسيرة الكبرى فكان التحرير. وعندما سألها زبيد عن "الشوق تنهدت وقالت هذه أشياء مؤجلة مؤقتة. هذا هو السبب إذا في أن وميض الشوق شبه منطفئ في عيون الشباب. أنا أتحدث عن نفسي"[٤] إنها صورة عن قوانين الصين الصارمة والتضحيات المذهلة التي يقوم بها الشبيبة الصينيون ومن القوانين السائدة آن ذاك أن " الصينيين لا يزوجون نساؤهم من الأجانب "[٥]، فعندما أخبر زبيد السيد جاك بورجون أنه يريد أن يتزوج باي لي قال له : " إن القوانين في الصين تمنع ذلك "[٦] ، فمجمل هذه القوانين الجائرة والظالمة دعت التونجي زبيد إلى تقديم انتقادات لفكر الرفيق ماو فهم يعيب على الصين الجمود العقائدي "[٧] ، " والرحيل الجماعي للخبراء

[١] مينه، حنا (١٩٩٧) رواية المغامرة الأخيرة"، ص١٧٦.
[٢] المصدر السابق ص٣٢٣
[٣] مينه، حنا (١٩٩٦) رواية "عروس الموجة السوداء"، ص ١٨٣.
[٤] المصدر السابق نفسه ١٨٣
[٥٤] المصدر السابق ص٨٩
[٦] المصدر السابق ص٣٠٩
[٧] المصدر السابق ص٣٠٢

السوفيات"[١]، وهذا ما دعا الصينيين إلى إقصاء زبيد عن الجامعة بسبب موقفه من الخلاف [٢] الفكري والسياسي والبنائي مع موسكو ويشير السرد إلى " موقف الشعب في كلا العاصمتين "[٣] ، مخالفا حكومتي البلدين ، وموقف الأحزاب الأوروبية من الخلاف"[٤] ، ولا يكتفي بتوجيه انتقادات لفكر الرفيق ماو ؛ بل يوجه انتقاداته أيضاً إلى خروتشوف الزعيم الروسي السوفيتي الذي يناصب ماو العداء "[٥] . يضمن الكاتب الخطاب السردي معلومات عن الديانات الموجودة في الصين [٦]وعلى رأسها البوذية وتعاليم البوذية[٧] وطقوس العبادة البوذية[٨] والتقمص ومعتقدات الصين[٩] وتاريخ الصين قبل التحرير[١٠] وانتصار الثورة الاشتراكية التي رفعت شعار الحياة في الصين " كل إنسان حسب طاقته ولكل إنسان حسب عمله "[١١] .

وتتقابل هذه الصور في كثير من الأحيان مع صور أخرى لمجتمعات أخرى نشير إلى بعضها :

عادات الأجانب الاجتماعية وتقاليدهم : الأسرة الأجنبية لها ولد واحد صبي أو بنت ، أما الأسرة العربية فلها عدة أولاد والرزق في كل حال على الله كما يؤمن الجميع "[١٢] ، إنه يضع الأخر مقابل الذات ، " فالذات لا تعرف نفسها إلا من خلال الآخر والمجتمع العربي إنما بدأ يكتشف ذات عبر المواجهة مع الغرب "[١٣] . ومن الإشارات التي يشير إليها الكاتب " اللياقة الأوروبية "[١٤] التي تقتضي تقبيل يد المرأة احتراماً لها . فقد غضبت السيدة الباريسية مارغريت بورجن من إياد صديق زبيد لأنه

---

[١] المصدر السابق ص٢٩٠

[٢] مينه، حنا (١٩٩٧) رواية المغامرة الأخيرة"، ص٢٣٣.

[٣] مينه، حنا (١٩٩٦) رواية "عروس الموجة السوداء"، ص ٢٨٩

[٤] مينه، حنا (١٩٩٧) رواية المغامرة الأخيرة"، ص٩٠

[٥] المصدر السابق ص١٨٥

[٦] المصدر السابق ص١٨٢

[٧] المصدر السابق ص٢١٥

[٨] المصدر السابق ص٣٥٣

[٩] المصدر السابق ص٢١٥

[١٠] المصدر السابق ص٢٢٩

[١١] المصدر السابق ص٣٧

[١٢] مينه، حنا (١٩٩٥) رواية "حدث في بيتاخو"، ص ٢٠٠

[١٣] الخطيب، د. محمد كامل ود. عبد الرزاق عيد (١٩٧٩): عالم حنا مينه الروائي،ص١٥٥

[١٤] مينه، حنا (١٩٩٦) رواية "عروس الموجة السوداء"، ص ٩٢

لم يقبل يدها فعندما قال لها زوجها : " أه مرغريت أهكذا يكون الترحيب بالضيف ؟ وكيف يكون إذا ما دام الضيف لم يقبل يدي ولا خدي ! قال إياد مرتبكاً : لا يا مرغريت نحن العرب لا نقبل يد السيدة ولا خدها هذا من التقاليد "[١] ، فضحك زبيد وقال بالعربية عاشت التقاليد الحميرية. يحرص الكاتب على تقديم صورة في سخرية من التقاليد المهترئة التي يجب التخلص منها بأقوى المعاني، فالحضارة تعني التحرر ولكي تقام العدالة الاجتماعية التي تقف في خلفية الصورة التي يحملها مينه منهجا فكريا يؤمن به يجب على الإنسان أن يعطي هذا المعنى . ومن اللياقة الأوروبية أيضاً: " إن الأوروبي يمتدح طعامك وهو يتذوقه، ويعد ذلك من اللياقة " فقد أثنت مارلين الإنكليزية في أثناء زيارتها لزبيد في مصيف بيتاخو على ترتيب بيته ودأبه في العمل وامتدحت طعامه وصور أخرى لا مجال لشرحها وإنما نشير إليها إشارة عابرة: صورة مارلين الإنكليزية وجيفارسون الإيرلاندي ، وبورجرون الفرنسية والسيدة نيلسون السويدية وعائلة ال ويز الألمانية .

[١] المصدر السابق ص٩٢

الخاتمة:

تقدم صورة الآخر في ثلاثية الصين ل حنا مينه أنموذجاً لعلاقات الرواية العربية الحديثة بالثقافة العالمية وتوظيف عناصرها الوجدانية والمعرفية توظيفاً فنياً في الأعمال الأدبية. بمعنى آخر: إنها تشكل انفتاح الرواية العربية على الغرب والشرق الأقصى. وقد حاول هذا البحث تقديم رؤية مينه للمجتمع الصيني من الزاوية السياسية التي تشير إلى اختلاف البناء الاشتراكي في الصين وتباينه عن الاتحاد السوفيتي الذي يعد وجهاً للاشتراكية ومقياساً لها. كما سعى مينه إلى فهم هذا التباين وتحليله والنظر فيه عن طريق إيجاد منهج فكري ومعرفي يتسم برؤية استراتيجية وحضارية قادرة على فهم الاختلاف والمغايرة والتحاور معها.

فجاءت صوره غنية بالتنوع والثراء متجاوزة النظرة التقليدية للآخر الصيني، هي ليست كتلة جامدة وصامتة تسيطر عليها نظرة أحادية غير قابلة للمرونة، بل تتفاعل مع الآخر سلباً وايجاباً على نحو يعترف باختلاف الذات مع الآخر، ولكن من دون إلغاء الآخر. فقد أيقن أنه لا حقيقة ثابتة في العالم المعاصر، وألا حقيقة ماكثة في مكان واحد أو لدى طرف من دون سواه.

لذلك فمن الخطأ أن نتحدث عن الآخر لدى مينه بصفة الإطلاق أو بصيغ التبسيط، والأعمق والأكثر علمية أن نتحدث عن الآخر لديه من خلال التيار العلمي العقلاني الذي لا يرى الآخر الصيني منغلقا على نفسه ومتزمتاً بل ينظر إليه بتفاعله مع واقعه في انطلاقه نحو بناء مستقبله وتشييد الصين الشعبية. لقد رسم مينه الآخر الصيني بصور متعددة وأشكال متنوعة انطلاقا من حوار الذات مع الآخر وتفاعلها المتبادل معه وصراعها ضده. ثمة طبيعة انتقائية تسم استقبال مينه لعناصر الثقافة الصينية متأثرة بالطابع الذاتي لإبداعه الفني ولمواقفه الفكرية والفنية وباتجاهات الثقافة العربية من الصين، إذ ظل الأديب مينه أمينا على توثيق العرى بين خطابه الإبداعي ومسيرة الثقافة العربية.

لقد أثرى الأديب مينه المكتبة العربية بعدد من الروايات فاقت الثلاثين رواية منذ أكثر من نصف قرن مولياً فنه الروائي اهتماماً صميماً في مسيرة حياته الحافلة

بالعطاء مما يقدم لدراسة رواياته في تأثرها بتلك الحياة مادة ثرية لصورة الآخر الأجنبي. وهكذا يرى أن روايات حنا مينه ذات علاقة وثيقة بالواقع ومنفتحة على العالم مما يمكننا القول بأنها تأسس إسهاما عربيا في رسم صورة الأجنبي وتشكيلها في الرواية العربية.

المصادر والمراجع

المصادر:

١. مينه حنا (١٩٧٦) الأبنوسة البيضاء، دار الآداب، بيروت.
٢. مينه، حنا (١٩٨٤) رواية "الربيع والخريف" ، دار الآداب، بيروت.
٣. مينه، حنا (١٩٩٥) رواية "حدث في بيتاخو" ، دار الآداب، بيروت.
٤. مينه، حنا (١٩٩٦) رواية "عروس الموجة السوداء"، دار الآداب، بيروت.
٥. مينه، حنا(١٩٩٧) رواية "المغامرة الأخيرة"، دار الآداب، بيروت.
٦. مينه، حنا (١٩٩٨) هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، بيروت.
٧. مينه، حنا (٢٠٠٠) القصة والدلالة الفكرية، مؤسسة اليمامة، الرياض.

المراجع:

١. الأبطح، سوسن (١٥/أيلول/١٩٩٥): حنا مينه يروي ما حدث في بيتاخو، مذكرات رجل ملول. جريدة النهار اللبنانية، صفحة النقد ص٨.
٢. الباردي، محمد (١٩٩٣) حنا مينه كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين، رسالة دكتوراه، في جامعة السوربون بفرنسا.
"اطلعت عليها باللغة العربية في كتاب مطبوع صادر عن دار الآداب في بيروت".
٣. باك، بيرل سيد نستريكر (ب.ت): رواية الأرض الطيبة "The good Land" ترجمة وطباعة مطابع معتوق الحديثة، بيروت.
٤. حمارنة، سمر (٢٠٠١): هكذا قرأت حنا مينه، مطبعة دمشق.
٥. الخطيب، د. محمد كامل ود. عبد الرزاق عيد (١٩٧٩): عالم حنا مينه الروائي، دار الآداب، بيروت.
٦. سماحة، فريال كامل (١٩٩٩): رسم الشخصية في روايات حنا مينه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، "وهذا الكتاب أطروحة ماجستير، قدمت في الجامعة الأردن بإشراف: د. شكري عزيز الماضي".
٧. سويدان، أحمد (٢٠٠٠) ملحمة الصين للروائي حنا مينه، صحيفة الأسبوع الأدبي، العدد (٧٣٠) ١٠/١٤، ص ٧.
٨. الصباغ، لؤلؤة (١٩٩٦): الأدب النسائي المعاصر (العربي والغربي)، وزارة الثقافة، دمشق.

٩. عبود، د. عبده (١٩٩٢): الأدب المقارن، مدخل نظري ودراسات تطبيقية، منشورات جامعة البعث.
١٠. عطية، أحمد محمد (١٩٨١): أدب البحر، دار المعارف القاهرة، سلسلة الدراسات الأدبية (٨١).
١١. العلبي، د. أحمد (١٩٩٩) ثنائية العيون، مجلة الموقف الأدبي، العدد (٣٥١)، تموز ص٣٦.
١٢. العوابدة، د. رياض (٢٠٠٢) الخصائص الفنية في روايات حنا مينه، مجلة جامعة البعث، مج: (٢٤) ص:٥٩
١٣. غايار، بول، (١٩٩٤) مالرو، تر: زياد العودة،وزارة الثقافة- دمشق،سلسلة أعلام(١١).
١٤. كاسوحة، مراد (١٩٩١): الرؤية الأيديولوجية والمورث الدين في أدب حنا مينه، دار الذاكرة، حمص سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية (٤).
١٥. مالرو، أندريه (١٩٦٣): رواية "الوضع البشري" ترجمة: نبيه صقر، منشورات عويدات، بيروت.
١٦. هلال، د.محمد غنيمي (١٩٨٧): الأدب المقارن، ط ٩، دار العودة، بيروت
١٧. وادي، طه (١٩٨٩): دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة.

ومن الكتب التي تم الاطلاع عليها في إعداد هذا البحث من دون الأخذ منها بالنص:

١٨. الخطيب: د.حسام(١٩٧٥):الرواية السورية في مرحلة النهوض(١٩٥٩-١٩٦٧) معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
١٩. الخطيب:محمد كامل(١٩٩٠) تكوين الرواية العربية – وزارة الثقافة دمشق ص١.
٢٠. دكروب،محمد(١٩٩٢): حوارات وأحاديث حنا مينه في الحياة والكتاب الروائية،دار الفكر الجديد.
٢١. سليمان، نبيل (١٩٨٢): الرواية السورية (١٩٦٧-١٩٧٧)، وزارة الثقافة-دمشق.
٢٢. سمَّاق، فيصل (١٩٧٩): الواقعية في الرواية السورية، دار البعث الجديدة، دمشق.
٢٣. عصمت، د. رياض (١٩٧٩): الصوت والصدى، دراسة في القصة السورية الحديثة، دار الطليعة بيروت.
٢٤. مينه، حنا (١٩٨٦): كيف حملت القلم، دار الآداب، بيروت.